التفسير الموضوعي والدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني

إعداد

الدكتور إدريس مولودي

رئيس المجلس العلمي المحلي للرشيدية . المغرب

المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

مقدمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونصلي ونسلم صلاة وسلاما يليقان بإمام الأنبياء وسيد الأولياء وأصفى الأصفياء وأتقى الأتقياء، سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم، اللهم افتح لنا أبواب الرحمة وأنطقنا بالحكمة واجعلنا من عبادك الراشدين فضلا منك ونعمة، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، ثم أما بعد

أفضل ما يُشتغل به وفيه من الكلام كلام الله تعالى، للتزود به والنهل والاغتراف منه للاهتداء والاستنارة والحياة به حياة راشدة كريمة، وللتسلح به وبفهمه وفق قواعد الفهم السليم المستقيم؛ لإنقاذ الحائرين الضالين ... في كل زمان و خاصة في هذه الأزمان، ومن ثم شمر على ساعد الجد ثلة من العلماء والباحثين في القرآن الكريم متلمسين السبيل لتحقيق المقصد، ومن جملتهم الباحثون في التفسير الموضوعي الذي لم يستو بعد على سوقه؛ من حيث ضبط تعريفه والوصول إلى منهج ثابت الأركان يمتاز به عن غيره. لذلك كان هذا البحث قراءة في تعاريفه ومناهجه محاولة في تصحيح مساره بمقترحات بنائية في منهجه مستعينا بالعلي القدير العليم الخبير مستمدا منه السداد والرشاد لتحقيق المراد.

المبحث الأول : واقع التفسير الموضوعي

تعرف البحوث التطبيقية في المواضيع القرآنية بمنهج التفسير الموضوعي اختلافا في نتائجها، ولا شك أن من أهم ما نتج عنه ذلك الاختلاف؛ هو الاضطراب في التصور لدى الباحثين؛ لأنه كما هو معلوم فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، والتصور له ارتباط وثيق بالتعريف والمنهج، ومن ثم كان التركيز عليهما كما سنرى بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: قراءة في التعاريف

أغلب الباحثين والمؤلفين في التفسير الموضوعي يميزون بين تعريفين؛ التعريف المتعلق بالموضوع الواحد في القرآن كله، والتعريف المتعلق بالسورة باعتبارها وحدة موضوعية. لكن عندما يطلق التفسير الموضوعي فالأمر ينصرف إلى النوع الأول، وأهميته والحاجة إليه في الدراسات القرآنية لا تخفى خصوصا في واقع الحال الذي نعيشه، ومن ثم فهو البؤرة في هذا البحث المتواضع، أما النوع الآخر فبدون شك له أهدافه ومقاصده فالله عز وجل ختم إنزال القرآن الكريم على الصورة التي بين أيدينا لمقاصد مهمة، كما اقتضاه النظم القرآني وتيسير حفظه، وتركيز الحديث على بعض مواضيعه، وكالربط بين العقيدة والأخلاق مثلا في السورة الواحدة أو بين الشعائر والأخلاق أو بينها جميعا ..

أولا: تعاريف التفسير الموضوعي المتعلقة بالموضوع الواحد:

كثير من الباحثين عرفوا التفسير الموضوعي باعتبار المنهج شارحين طريقة البحث فيه، غاضين الطرف عن ماهيته وما امتاز به عن غيره، ومن ثم سنلحق بعضها بالمبحث المتعلق بالمنهج، ولنسق بعضا من التعاريف قبل القراءة والتعليق حسب المشترك بينها وفق المجموعات التالية:

المجموعة الأولى:

-"هو بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد؛ وإن اختلفت عباراتها وتعددت أماكنها، مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه؛ ويلم بكل أطرافه؛ وإن أعوزه ذلك لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحا وبيانا."[1]

-"أن تختار موضوعا من المواضيع التي يتناولها القرآن الكريم فتجمع الآيات والسور التي وردت بشأنه على نحو يضم أجزاءها ويجمع متفرقها، ويربط بعضها ببعض، فتكتمل بذلك صورة الموضوع، إذ إن القرآن يفسر بعضه بعضا"[2]

-"معرفة أحوال مجموعة من الآيات القرآنية في موضوع محدد مرتبة على حسب النزول تارة، وغير مرتبة تارة أخرى من حيث دلالتها على مراد الله تعالى؛ لتيسير فهمه إلى المتلقي في كيان واحد وهيئة تركيبية متجانسة لا يفصل بينها فاصل، فيصب ذلك في بحث مستقل يكون موضوعه ما في الآيات من موضوع"[3]

المجموعة الثانية:

-" هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنّظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع".[4]

-" هو الذي بين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط، وليس في أصل المعنى، أي أن يكون لموضوعه أصل في القرآن الكريم، ولكن تحته قضايا كثيرة متعددة، لا يربط بينها إلا وحدة الغاية، وهي وحدة محقّقة وإن كانت عامة بعيدة"[5].

[1] – التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص16 – 17.

[2] – منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص41 وفي الصفحة نفسها تعريف عبدالعزيز بن الدردير قريب منه

[3] – منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص42

[4] – المدخل إلى التفسير الموضوعي ص 20.

[5] – المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 24.

-"هو الذي يقوم على وحدة المعنى والغاية، بين أطرافه وأفراده، فتكون الرابطة بينها خاصة وقريبة. مثاله "اليهود في ضوء القرآن". فهذا موضوع محدد تدخل تحته آيات كثيرة كلها في ذات الموضوع، ويجوز أن يُقيّدَ الموضوع بقيد ما فيزداد تخصيصا مثل عقيدة "اليهود الضالة في ضوء القرآن"، وهذا النوع من أحدث الأنواع جميعا، وهو أولى النوعين باسم التفسير الموضوعي عند الإطلاق" [1].

المجموعة الثالثة:

-"المنهج الذي يتخذه المفسر سبيلا للكشف عن مراد الله من خلال المواضيع التي يطرحها والقضايا التي يعالجها، توضيحا لهداية القرآن وتجلية لوجوه إعجازه"[2]

-"الكشف الكلي عن مراد الله عز وجل في قضية قرآنية حسب الطاقة البشرية"[3]

-"أن تجمع الآيات التي في الموضوع الواحد، ولو كانت في سور شتى وتؤخذ منها العبرة"[4]

المجموعة الرابعة:

- " الدراسة الموضوعية هي التي تطرح موضوعا من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، وتتجه إلى درسه وتقييمه، من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده"[5].

-"العلم الذي يتخذ من الموضوعات الظاهرة أساسا للكشف عن منهج القرآن وأسلوبه في معالجته لها، متخذا من القواعد والشروط المرعية في التفسير سلما للوصول إلى هدي الكتاب وجلال شأنه"[6]

المجموعة الخامسة:

-"جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية"[7]

-" التفسير الموضوعي هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية، من خلال سورة أو أكثر"[8] .

[1] - المدخل إلى التفسير الموضوعي ص 25 - 26.

[2] - منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص43

[3] - منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص45 وهو تعريف لعبد الجليل عبد الرحيم مع تعديل الصياغة

[4] - منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص40

[5] - مقدمات في التفسير الموضوعي، ص 17.

[6] - منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص43

[7] - منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص41

[8] - مباحث في التفسير الموضوعي ص 16.

بعد عرض مجموعة من التعاريف رجح الدكتور مصطفى مسلم هذا التعريف على اعتبار أنه يتضمن النوعين الرئيسين للتفسير الموضوعي وأنه خال من التكرار[1]. لكن المتأمل يرى أن ظاهر التعريف أشار إلى تناول القضايا في السورة دون التقييد باعتبارها وحدة موضوعية، وكأنه يعني دراسة موضوع ما في سورة ما.

المجموعة السادسة:

-"هو تقسيمُ آيات القرآن الكريم إلى مجموعات كل مجموعة منها تندرج تحت عنوان يشملها جميعاً، فهذه الآيات المتفرقة تكوّن بحثاً مستقلاً متميزاً عن غيره ذات موضوع واحد وهدف واحد" [(2)] .

-"هو الذي تُجمع فيه قضايا القرآن الكريم وتفسر تفسيرا علميّا على أساس الموضوع، وتدوّن في بحث مفرد، أو كتاب جامع على نمط موسوعات التفسير التحليلي، بحيث يرجع الباحث إلى الموضوع الذي يريده ويعلم موقف القرآن منه في يسر وسهولة"[3]

ثانيا–قراءة في التعاريف:

أول ملاحظة بادية من خلال هذا التقسيم هو الاختلاف بين هذه التعاريف؛ والاضطراب الواضح في بعضها كما سنرى، وقد يكون ذلك ناتجا عن الاختلاف في المنطلقات مما أثر على دقة الصياغة.

بالنسبة للمجموعة الأولى الذي يجمع بينها هو الكشف عن أطراف الموضوع من خلال آياته وإبرازه في كيان واحد؛ مع الاختلاف في التفاصيل ودقة الصياغة.

بالنسبة للمجموعة الثانية يتأسس فيها التعريف على الوحدة بين أطراف الموضوع وقضاياه، لكن الاختلاف بينها في تحديد هذه الوحدة هل هي وحدة في الغاية فقط أم في المعنى أم فيهما معا.

ومن اعتبر وحدة المعنى والغاية أشار إلى إمكانية تناول الموضوع القرآني مطلقا أو مقيدا، بناء على حرية اختيار الباحث. لكن ألا يكون للبدء بالمقيد–مثلا– تأثير على الدقة في المعالجة؟ ولا شك أن منهج الدراسة له تجلياته في شمولية النظرة من عدمها.

بالنسبة للمجموعة الثالثة تمت فيها الإشارة إلى ما يدخل في التعريف بالماهية حيث ركزت على الكشف عن مراد الله في الموضوع المعالج من خلال آياته، كما تميزت بقصد الوصول إلى الهدايات والعبر القرآنية. على اختلاف أيضا في التفاصيل ودقة الصياغة.

بالنسبة للمجموعة الرابعة يميزها انطلاقها من واقع الحياة في اختيار الموضوع ثم الكشف عن نظر القرآن فيه وعلاجه له.

---

[1] – مباحث في التفسير الموضوعي ص 16.

[2] – دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – للدكتور عبد المنعم علي إبراهيم القصاص – مطبعة الحسين الإسلامية – القاهرة – ط 1 – 1411هـ - 1990م – ص 27 .

[3] – المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 21.

بالنسبة للمجموعة الخامسة تميزت بتناول الآيات حسب المقاصد القرآنية، مع اختلاف يسير في التفصيل. وهاهنا سؤال مشروع يطرح نفسه هل هذه المقاصد حددت قبل؛ كما في علوم القرآن بالنسبة لأسباب النزول وزمان ومكان النزول وبعض القواعد اللغوية ... أم أن التفسير الموضوعي هو الذي يكشف عن هذه المقاصد؟

أما المجموعة الأخيرة فالذي يجمع بينها خلافا للمجموعة الرابعة هو الانطلاق من القرآن وتصنيف آياته تصنيفا موضوعيا، مع اختلاف في التفصيل والصياغة.

والسؤال المشروع أيضا هل منطلق الموضوع من واقع الحياة والحاجة ثم الدراسة والبحث عن تصور القرآن له؛ أم المنطلق القرآن بمعزل عن واقع الحياة؟ أم المنطلق من القرآن بمنهج نلتمس من خلاله شمولية النظرة القرآنية مع الربط بواقع الحياة؟ وهذا الأخير هو الذي تطمئن النفس إليه.

من الملاحظات المهمة غفلة التعاريف المشار إليها عن المصطلح القرآني والقضايا المتفرعة عنه وارتباطه الوثيق بالتفسير الموضوعي.

وقد عرف شيخنا الدكتور الشاهد البوشيخي التفسير الموضوعي في اصطلاح الدراسة المصطلحية من خلال ما تلقينا عنه في المرحلة الجامعية بقوله : "هو التفسير المجلي للتصور الشامل لموضوع لفظ ما أو ألفاظ متقاربة في القرآن كله، انطلاقا من الدراسة المصطلحية لذلك اللفظ أو تلك الألفاظ".

المطلب الثاني: قراءة في المناهج:

أولا: مناهج البحث :

محاولات الباحثين في التفسير الموضوعي لتحديد منهج ومعالم هذا اللون من التفسير لم تصل بعد إلى حد الاتفاق ... وسنعرض بعض وجهات النظر في الموضوع :

–منهج التفسير الأدبي: أول من دعا إلى التفسير الموضوعي في العصر الحديث –على ما اتفق عليه كثير من الباحثين–هو الأستاذ أمين الخولي ومن تتلمذ على يديه خصوصا الدكتورة عائشة عبد الرحمن، فعبرت عن وجهة نظرها ووجهة نظر أستاذها قائلة: "الأصل في منهج هذا التفسير –كما تلقيته من أستاذي– هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك.."[1] وذكرت في موضع آخر تتمة لوجهة النظر قائلة: " أراني في حاجة إلى تقرير مسألتين في المنهج؛ أولاهما: "أن المرويات في أسباب النزول موضع اعتبار في فهم الظروف التي لابست نزول الآية.. والأخرى أن ترتيب النزول موضع اعتبار كذلك لفهم السياق العام لما نتدبر من آيات القرآن .."[2]

–منهج الأستاذ باقر الصدر: عبر عن وجهة نظره بقوله: " فهذا اللّون من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص، حيث يتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة، فينسق بين عناصره ويقدم له بمقدمة حول أسلوب القرآن الكريم في عرض أفكار الموضوع، ويحاول أن يقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث ويستدل بالآيات القرآنية على كل ما يذهب إليه، ويتحدث عنه مع ربط ذلك كله بواقع الناس، ومشاكلهم ومحاولة حلها وإلقاء أضواء قرآنية عليها"[3].

–منهج الدكتور أحمد السيد الكومي: تناول منهجه من خلال خمسة عناصر:

1- جمع الآيات التي تخدم الموضوع

2- ترتيب الآيات حسب النزول

3- إزاحة ما قد يكون من موهم الاختلاف والتناقض

4- التفسير أثناء العرض يكون تفسيرا مفهما الحكمة من وراء إيراد الآيات والغرض من التشريع الإلهي مع الدعم بالسنة وأقوال السلف وقصص الأنبياء والأمم السالفة ..

[1] – التفسير البياني للقرآن الكريم ج1 ص 17.

[2] – التفسير البياني للقرآن الكريم ج2 ص 8 – 9.

[3] – مباحث في التفسير الموضوعي، ص 27.

5- إخراج الموضوع في صورة متكاملة تامة البناء والإحكام مع مراعاة شروط البحث العلمي، قاصدا إبراز محاسن القرآن وخدمة الأفراد والمجتمع الإسلامي.[1]

-منهج الدكتور عبد الحي الفرماوي: عبر عنه قائلا: "اسم التفسير الموضوعي .. اصطلاحٌ مستحدث، أطلقه العلماء المعاصرون على: جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، التي اشتركت في موضوعٍ ما، وترتيبها حسب النزول- ما أمكن ذلك- مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي، الذي يُجلِّيها من جميع نواحيها وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولةٍ ويسر، ويحيط به إحاطة تامة، تمكنه من فهم أبعاده، والذود عن حياضه"[2]

- منهج الدكتور مصطفى مسلم: تناول منهجه من خلال ثمانية عناصر:

1- اختيار الموضوع المراد دراسته.

2- جمع الآيات القرآنية المتعلقة به.

3- ترتيبها وفق أسباب النزول لمعرفة المتقدم من المتأخر منها.

4_ دراسة تفسير الآيات دراسة وافية...

5- استنباط العناصر الأساسية للموضوع وترتيبها بمراعاة طبيعة البحث وتسلسل الأفكار

6-اعتماد طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار مع التركيز على الهدايات القرآنية والاستعانة في الموضوع بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، مع التوجيه والتعليل والشرح والمناقشة في ضوء التوجيهات القرآنية.

7- الالتزام بمنهج البحث العلمي في وضع مخطط البحث للموضوع..

8-الحرص على إبراز حقائق القرآن الكريم وحسن عرضها أسلوبا ومضمونا مجليا حكمة التشريع وجماله ووفاءه بالحاجات والفطر..[3]

-منهج الدكتور صلاح الخالدي: فقد وضع خمس خطوات للتفسير الموضوعي، وجعلها في مرحلتين؛ مرحلة البحث والجمع ومرحلة الترتيب والتبويب والصياغة، وهاتان المرحلتان-كما قال الدكتور سامر عبد الرحمن رشواني تردان في حقيقة الأمر إلى مرحلة واحدة هي المرحلة الأولى، أما الثانية فترتبط

[1] - التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص 23 - 24.

[2] - البداية في التفسير الموضوعي "دراسة منهجية موضوعية" ص 52. وانظر بشيء من لإجمال "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن" ص 6. والصبر في القرآن الكريم، ص6.

[3] - ن مباحث في التفسير الموضوعي ص 37 - 38 - 39.

بقضايا شكلية لا تمس جوهر العمل التفسيري وليست من منهجه .. لذا سنقصر عرض منهج الخالدي على مايتعلق بمرحلة البحث والجمع وخطواتها كالتالي:

1-اختيار المصطلح القرآني ..

2-تحديد الجذر الثلاثي للكلمة

3- أخذ معنى الجذر الثلاثي للكلمة من أمهات كتب اللغة ومعاجمها الأساسية

4-متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن

5-ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني ...

6- ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسق وتناسب هذا المصطلح مع الآية التي ورد فيها مع والدرس الذي وردت فيه الآية لبيان الوحدة الموضوعية للدرس

7-ترتيب الآيات .. على حسب النزول؛ وملاحظة تطور المصطلح والإضافات عليه في الآيات المتأخرة، وملاحظة ما في الآيات من نسخ، والوقوف على أسباب نزولها ثم معرفة القراءات الأخرى الصحيحة للمصطلح، وتوجيه كل قراء والفرق بين القراءات.

8-الاطلاع على تفسير الآيات التي أوردت المصطلح من أمهات كتب التفسير.

9-ملاحظة البعد الواقعي للمصطلح موضوع البحث.

10-الوقفة المتأنية الفاحصة أمام الآيات التي أوردت المصطلح واستخلاص دلالاتها والالتفات إلى لطائفها واستنباط دروسها وعبرها.[1]

-منهج الدكتور سامر عبد الرحمن رشواني: بعد مناقشة مناهج سابقيه مما أشرنا إليه قبل وغيرهم مثل صلاح الخالدي عرض منهجه المقترح وفق الخطوات التالية :

1- اختيار الموضوع، على أن تبقى مساحة الاختيار مفتوحة.

2-الحصر والاستقراء التام مع العلم أن الموضوع لا يرتبط فقط باللفظ ومشتقاته، بل أيضا بمضامين بتراكيب تتضمن المعنى نفسه..

3-ترتيب الآيات وتصنيفها، وقد علق الباحث على هذه النقطة في خاتمة البحث بأن هذا الترتيب يفتقر إلى السند والبرهان؛ ولا تعرف له فائدة جوهرية للتفسير الموضوعي خاصة.

4- النظر في مناسبات الآيات وملابساتها، يقصد بذلك أسباب النزول

5- الدراسة الدلالية المرتبطة بدلالة الألفاظ القرآنية مع التركيز على استقراء ما يتعلق بالاستعمال القرآني والإحاطة بالمعاني القرآنية الخاصة ..

[1] - منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص 78 - 79.

6- الدراسة النصية، اعتبرها الباحث أقرب إلى مهمة المفسر الموضوعي، وبين بأنها نظر مقارن كلي في الآيات التي تتناول القضية المفسرة، باعتبارها المصدر الأساسي الذي سيقيم عليه المفسر الرؤية الكلية أو النظرية العامة. ومما ركز عليه هنا ضرورة مراعاة السياق الجزئي والكلي، ووجوه العلاقة بين الآيات كالإجمال والتفصيل.. والتنظيم المنطقي لها..

7-الواقع ومحله في التفسير الموضوعي مع التركيز على ضرورة فهم الواقع والفكر الإنساني لأهميته في الكشف والمعالجة[1].

-منهج الدراسة المصطلحية:

وهذا المنهج -كما هو معلوم- مؤسس على خمسة أركان: الإحصاء والدراسة المعجمية والدراسة النصية والدراسة المفهومية والعرض المصطلحي للمصطلح. وعن القضايا التي لها ارتباط وثيق بالتفسير الموضوعي، وهي العنصر السادس والأخير من الركن الخامس من أركان الدراسة المصطلحية، يقول الدكتور الشاهد البوشيخي: "وتتضمن كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح؛ "مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن، إلا بعد التمكن منها حق التمكن. وهي متعذرة الحصر لكثرة صورها وتنوعها من مصطلح إلى مصطلح. وأهميتها لا تكاد تقدر في التصور العام للأبعاد الموضوعية للمفهوم، ولا سيما في بعض العلوم. ومن أصنافها – كما تقدم – الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف والتأثر والتأثير..."[2]

[1] - منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص 141 - 216 ون خاتمة البحث ص 363 - 364. بتصرف

[2] - نظرات في المصطلح والمنهج ص:25 - 24.

ثانيا–قراءة في المناهج

–يتضح أن المناهج المقترحة في غالبها يطغى عليها طابع التعميم وفي بعضها إجمال واختزال؛ فعنصر كدراسة الآيات دراسة وافية أو إبراز الحقائق القرآنية، يحتاج نوعا من التفصيل إلى عناصر فرعية مرتبة ترتيبا منطقيا. وبعض الباحثين يقف عند حد معين فيأتي اللاحق مضيفا ما اختزله السابق، كما نجد البعض أحيانا يدرج عناصر شكلية لا تمس جوهر الجانب التفسيري، كالتنسيق والتقسيم والتبويب ..

–أهمل معظم من كتب في منهج التفسير الموضوعي بعد أمين الخولي حسب مبلغي من العلم جانب الدراسة الدلالية اللغوية والاصطلاحية[1]؛ عدا ما فعله صلاح الخالدي كما أسلفنا.

–بعض الباحثين أشار إلى ضرورة وزن البحث والدراسة بميزان العلم الصحيح، ومراعاة شروط البحث العلمي والالتزام بمنهج البحث العلمي؛ لكن كيف يكون ذلك في الحقل الذي نبحث فيه؟ هذا هو الأمر المطلوب تفصيله، مع العلم أن لكل فن من البحث والدراسة منهجا يخصه، وهو عبارة عن نسق من القواعد والضوابط .. التي تنظم البحث، دون القواعد والضوابط المشتركة مع العلوم الأخرى، ومن ثم فإن الأمر يحتاج إلى نوع من التفصيل والتدقيق في الموضوع .

–أشار د مصطفى مسلم إلى أن الذي يكتب في موضوع ما بمنهج التفسير الموضوعي قد تعترضه أقوال متباينة للمفسرين الذين كتبوا في تحليل النص القرآني بحيث لا يمكن الجمع بينها، في هذه الحال لابد من وقفة متأنية دقيقة، ونظرات ثاقبة للترجيح بين الأقوال..[2]

والنظرة الثاقبة والوقفة المتأنية لابد معهما من منهج محدد المعالم، وإشارة الأستاذ هنا ذكرتني بمرحلة من مراحل منهج الدراسة المصطلحية كما تلقيناها عن شيخنا الدكتور الشاهد البوشيخي وهي مرحلة الدراسة النصية التي تأتي مباشرة بعد الدراسة المعجمية في منهج الدراسة المصطلحية، والتي قال عنها شيخنا حفظه الله تعالى بأنها تهتم بتقطير المعاني والمعلومات من النصوص بكل الإمكانيات والأدوات، فالوقفة المتأنية إذن مع هذه الأداة المنهجية تمكن من حل الإشكال.

–أدخل الدكتور سامر عبد الرحمن رشواني دراسة المصطلح القرآني في عنصر الدراسة الدلالية عنده قائلا: "ظهرت العديد من الأفكار والنظريات حول دراسة مفردات القرآن وألفاظه وقد اتصلت هذه النظريات بطريقة أو بأخرى بالتفسير الموضوعي وبقضية الاستعمال القرآني الخاص للمفردات؛ أو ما أصبح يسمى ب(المصطلح القرآني). فمن الدارسين من جعل هذا النوع من البحث الدلالي قسما من أقسام

[1] – منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص 173 بتصرف

[2] – مباحث في التفسير الموضوعي ص 53 – 54.

التفسير الموضوعي وأحد أنواعه.."[1] ثم ساق منهج صلاح الخالدي في الموضوع وعلق عليه، ولا يخامرني شك أن الباحث لم يطلع على منهج المدرسة المغربية الفاسية في الدراسة المصطلحية بريادة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، التي تعتبر الدراسة المعجمية المسماة عند الدكتور رشواني بالدراسة الدلالية، مرحلة متقدمة من مراحل الدراسة، أما التفسير الموضوعي أو ما يسمى بالقضايا فيعتبر مرحلة متأخرة من مراحل منهج الدراسة المصطلحية أو نتيجة تؤول إليها.

-يشترك منهج الدكتور رشواني مع منهج الدراسة المصطلحية في مرحلة الدراسة النصية ولكن من حيث التسمية فقط؛ إذ اعتبر بأنها نظر مقارن كلي في الآيات. لكن الدراسة النصية في الدراسة المصطلحية هي عمودها، لها أهدافها وأدواتها ومستخرجاتها، فهي بمثابة مختبر تحليلات للنصوص تقطر منها المعلومات تقطيرا.

ثالثا: نموذج تطبيقي

1-موضوع الدراسة وتصميمه حسب منهج الدكتور مصطفى مسلم:

موضوع "الألوهية من خلال آيات القرآن" للدكتور مصطفى مسلم، لاشك أن الباحث حفظه الله تعالى قدم بحثا نافعا إلى حدود بعيدة، فكان تصميم الدراسة على الشكل التالي:

- **الألوهية والفطرة**
- **اهتمام القرآن بالتوحيد أكثر من اهتمامه بإثبات وجود الخالق**
- **منهج القرآن في إثبات التوحيد منهج فطري**
- **ربط قضايا العقيدة بمصالح العباد في حياتهم المعاشية**
- **مجالات الاستدلال على قضية الألوهية**
- **أبرز أنواع الأدلة على توحيد الله جل جلاله**[2]

2-ملاحظات عامة واستنتاج:

أ-الملاحظات:

- الناظر لأول وهلة للتصميم يرى أن اللفظ الغالب المفتاحي فيه هو لفظ التوحيد، وكأن الدراسة تتعلق بموضوع التوحيد الذي تعتبر الألوهية جزء منه ...

- غياب تعريف لموضوع الدراسة؛ مع العلم أن التعريف هو مفتاح هذه الدراسة حتى تكون على بينة؛ وذلك بالطبع من خلال القرآن الكريم.

[1] - منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية ص 177.

[2] - مباحث في التفسير الموضوعي: ص95 - 194.

- بعض عناصر الدراسة خصوصا الفرعية قد نجد فيها غيابا للنصوص القرآنية، وفي بعضها نص واحد رغم الكثرة الكاثرة من النصوص في الموضوع ...

ب–استنتاج:

يمكن أن نخلص أننا حين نترك الحرية للباحث مثلا في كيفية جمع آيات موضوع الدراسة دون المنهج الذي يعتمد الاستقراء التام، فإنه سيطبق طريقة العثور حسب اجتهاده، ومن ثم قد لا نخرج بنظرية قرآنية شاملة أو قريبة من ذلك للموضوع، ولو اتبعنا مثلا منهج الدراسة المصطلحية الذي يفرض لأول وهلة إحصاء موارد المصطلح ومشتقاته في النص المدروس لوجدنا العجب العجاب في مثل الموضوع الذي بين أيدينا.. وإليك هذه المحاولة المتواضعة في الموضوع المدروس "الألوهية في القرآن الكريم".

3–نظرة أولية عامة مقارنة في موضوع"الألوهية في القرآن الكريم":

الوقوف ببعض التأني مع بعض الآيات التي ورد فيها لفظ "الإله" فقط دون المشتقات الأخرى يحيلنا على عناصر أخرى مكملة للدراسة التي قام بها الدكتور مصفى مسلم حفظه الله تعالى:

أ– موارد لفظ "الإله" في القرآن الكريم:

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً }الكهف14

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }الكهف110

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى }طه8

{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }طه14

قصة السامري مع موسى وهارون من سورة طه التي ورد في آخرها {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً }طه98

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }الأنبياء25

{وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ }الأنبياء29

{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }الأنبياء87

{قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ }الأنبياء108

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ }الحج34

{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }المؤمنون116-117

{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً }الفرقان43

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً }الفرقان68

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ }القصص38

{وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }القصص70

{وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }القصص88

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }العنكبوت46

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ }فاطر3

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }ص65

{خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ }الزمر6

{غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ }غافر3

{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }غافر65

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ }فصلت6

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ }الزخرف84

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }الجاثية23

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ }محمد19

{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً }المزمل9

ب–عناصر متممة للدراسة مستقاة من النصوص:

نظرة أولية إلى هذه النصوص مكنت من استنباط عناصر أخرى للموضوع لها علاقة بالارتقاء بحال الإنسان تصورا وسلوكا : **–أنواع الآلهة المتخذة من دون الله –نتائج اتخاذ إله غير الله–صفات الإله الحق –علاقة الألوهية بالربوبية –تجليات توحيد الألوهية –علاقة توحيد الألوهية بالإسلام والعبادة والصلاة والاستقامة والتوكل والاستغفار –دعوة الرسل الناس إلى توحيد الألوهية –مصادر العلم بتوحيد الألوهية –الأدلة على توحيد الألوهية(ومنها مجادلة أهل الكتاب في توحيد الألوهية وقصة السامري مع موسى وهارون) –حقوق الإله الواحد...**

4–خلاصة واستنتاج:

انطلاقا من خبرتي المتواضعة بمنهج الدراسة المصطلحية، واطلاعي على بعض البحوث بمنهج التفسير الموضوعي في الاصطلاح العام المشهور، تبين أن هذا الأخير وما شاكله يفتقر إلى الدقة والأدوات المنهجية المحددة بخلاف منهج الدراسة المصطلحية، المستمد من روح المنهج الوصفي، الذي يمكن الباحث من تجاوز سلبيات منهج العثور، وتحديد تعريف دقيق للمصطلح الموضوع من خلال الدراسة الدقيقة لنصوصه، ويسعى إلى حصول نتائج محررة من الإسقاطات القبلية وغير ذلك كما رأينا مع هذه الوقفة السريعة ببعض التأني مع هذا النموذج التطبيقي.

المبحث الثاني: آفاق التفسير الموضوعي : محاولة في البناء

المطلب الأول: خطوات بنائية :

بيان وإيضاح القرآن لكل الناس؛ مقصد من أهم مقاصد إنزاله، كما بين القرآن نفسه قال الله تعالى : {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }النحل44. فعلة الإنزال إذن هي البيان، و قال تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)) النحل، تبيانا هنا أتت مفعولا لأجله، ومن ثم فإنزال الكتاب كان لأجل البيان والبيان المفصل، المفصل في كل شيء مما يحتاجه الإنسان، سواء تعلق الأمر بأمور الاعتقاد أم بقواعد الإسلام أم بالمعاملات أم غير ذلك؛ كما قال تعالى أيضا : { مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ }الأنعام38 وقال الله تعالى : { وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً }الإسراء12، ولم يتوقف الوحي إلا بعد إتمام البيان المراد من الله تعالى.

ونحن في زمان حاجتنا فيه إلى البيان المفصل أكثر من غيره من الأزمان، وأعتقد أن البيان المفصل في تصورات ونظريات؛ يكون عبر بيان وتفصيل المواضيع التي طرقها القرآن؛ بمنهج محدد يقضي بتحقيق هذا القصد الرباني، وأحسبه يكون وفق الخطوات التالية:

1- إحصاء المصطلحات المفاتيح وتصنيفها

ونقصد بالمصطلح المفتاح في القرآن الكريم اللفظ ومشتقاته من جذره اللغوي؛ مفردا أو مركبا؛ الذي له حضور وازن في القرآن، من خلال حجم وروده، وأحوال وروده، والثابت والمتغير في الحجم والأحوال، ومعاني المصطلح في حال تعددها حسب سياقاتها ونسب حضورها، وعلاقاته بغيره ومدى تشعبها ومركزيته فيها...

هذه الخطوة تقتضي قراءة القرآن الكريم مرات متعددة بنوع من التدبر لتحديد المصطلحات المفاتيح، ثم تحديد موقعها داخل النسق المفهومي العام بناء على ما سلف، ثم التصنيف ثانيا حسب الأسرة المفهومية التي تنتمي إليها و تحديد الموقع داخلها بناء على ما سلف أيضا..

ومن نافلة القول أننا سنحصل بعد هذا الترتيب والتصنيف؛ على المصطلح الموضوع كالغيب في القرآن الكريم، والموضوع الذي له تعلق بعدة مصطلحات ك"الاقتصاد الإسلامي" في القرآن الذي يقتضي النظر فيه دراسة مصطلحات المال والإنفاق والزكاة والصدقة والربا والإسراف ...

2- دراسة المصطلحات وعلاقاتها

ونقصد بها دراسة المصطلحات منفردة أولا بمنهج الدراسة المصطلحية بأركانه الخمسة، ثم الانتقال بعد ذلك لدراسة العلاقات التي تربط بينها، فبعض المصطلحات التي تنتمي إلى الأسرة المفهومية نفسها، أو التي يجمعها موضوع خاص، قد ترد مجتمعة في نص واحد؛ وفي هذه الحال تدرس العلاقة في السياق الجزئي؛

كما هو معلوم في الدراسة المصطلحية للتوصل للرابط بينها؛ من قبيل المرادف والضد والأصل والفرع والجزء والكل والتداخل والتكامل وما إليها.

وقد ترد متباعدة وفي هذه الحال تدرس العلاقة في السياق الكلي للقرآن الكريم؛ مع استحضار القضايا المرتبطة بكل مصطلح؛ التي لها نوع تعلق بقضايا المصطلح الآخر؛ في إطار ما يمليه النص القرآني دون تعسف في التعامل معه.

3- تصنيف النتائج وعرضها

بالنسبة للمصطلح الموضوع فأمر التصنيف والعرض يكون كما اتفق في الدراسة المصطلحية.

أما بالنسبة للمصطلحات التي تنتمي إلى الأسرة المفهومية نفسها، أو التي اقتضى الجمع بينها موضوع واحد؛ فتصنف النتائج بحيث تمكن من تجلية تصور شامل للموضوع الجامع بينها-وقد يكون مركبا لفظيا- بدءا بالتعريف لهذا المركب اللفظي ثم العلاقات التي تربطه بغيره مما يحتاج إليه للإحاطة بالموضوع، ثم القضايا المشتركة بين المصطلحات والتي لها تعلق بالموضوع الجامع، وهذه القضايا ترتب وتعرض عرضا منطقيا متماسكا كالجسد الواحد في إطار رؤية كلية ونظرية قرآنية شاملة للموضوع.

4- أفق آفاق التفسير الموضوعي:

إذا يسر الله التمكن مما سلف، من نتائج دراسة المصطلحات المواضيع، والمواضيع التي يجمع كل منها عدة مصطلحات، في القرآن الكريم كله -وما هو على الله بعزيز لمن شرفهم الله تعالى بهذا الحمل الثقيل- سنكون بإذن الله أمام المرحلة الأخيرة التي هي الترتيب الجامع لكل التصورات الفرعية عن المواضيع المدروسة، وفق تركيب تصور شامل متكامل لهذا الدين العظيم، في صورة قصر بهي شامخ البنيان، مرصع بآيات الجمال الحسان، تمتد إليه أعين وآذان وأفئدة بني الإنسان، ملتمسة في ظلاله الوارفة وعيونه الجارية الروح والريحان. وهو فيما أحسب قصد شيخنا الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله فيما سماه بالنسق المفهومي الكلي للقرآن الكريم، والذي به كما قال "يتم الفهم الكلي النسقي للقرآن، وبه يرجى تجديد الفهم، الذي به يتم تجديد العمل، الذي به يتم تجديد الحال"[1]

المطلب الثاني: نموذج تطبيقي: مفهوم "الغيب" في القرآن الكريم والحديث الشريف

1-أهمية البحث في الموضوع:

مفهوم ''الغيب'' في القرآن الكريم والحديث الشريف، يعتبر من المفاهيم الأصول، في القرآن الكريم لتعلقه الكبير بالجانب العقدي، الذي عليه يتأسس إسلامُ المرء وجهه إلى الله سبحانه، والمصطلح متشعب وشامل لعدة فروع، تعتبر أركانا في الاعتقاد الصحيح.

[1] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، ص2.

وواقع المسلمين اليوم يعرف توجها نحو قيم الغرب، والإغراقَ في الماديات من قبل فئة عريضة منهم؛ وفئة أخرى بالغت في الروحانيات، وأخرى انساقت مع الخرافة والشعوذة ... وهذا وغيره مرده إلى ضطراب في التصور عن الغيبيات.. الأمر الذي اقتضى تناول الموضوع بنوع من الدقة التفصيل.

وبما أن البحوث التي تناولت الموضوع، تناولته بمناهج لم تمكن من الاستقراء الشامل لنصوص المصطلح؛ مما سيؤدي حتما إلى قصور ونقص في النتائج .. كان منهج البحث المختار لهذه الدراسة، هو منهج الدراسة المصطلحية، لتجاوزه السلبيات المشار إليها وغيرها ولدقته كما أشير قبل.

2-خطوات البحث وعرض مختصر للموضوع:

وبناء على ما سلف، مر البحث عبر الخطوات المعلومة في المنهج؛

فبعد تتبع وإحصاء لفظ الغيب ومشتقاته في نصوص الوحي، تمت دراسته معجميا؛ لغويا واصطلاحيا من خلال المعاجم والتفاسير وغيرها، فخلصت الدراسة إلى، أن هذه التعاريف ليست جامعة، على اعتبار أنها لا تتضمن جميع أفراد التعريف –كما هو مفصل في البحث–فكل منها أخرج بعض أفراده، مما يدخل تحت قسم الغيب المطلق، وجلها إن لم نقل كلها أخرج الغيوب التي تندرج تحت قسم الغيب النسبي، كأخبار الأمم الماضية التي عبر عنها القرآن ب"أنباء الغيب". ومن ثم بعد خطوة الدراسة النصية فالمفهومية تم التوصل إلى تعريف الغيب في الوحي بعد جمع أفراده كما يلي:

الغيب ما لا سبيل إلى العلم به، مما استأثر الله ﷻ به، أو مما أذن بالاطلاع عليه لمن شاء من خلقه.

تمت لإشارة هنا إلى التعريف، لأن التعريف في نظري يمثل التصور الجامع والمجمل للموضوع، الأمر الذي يغيب في مناهج التفسير الموضوعي المشار إليها.

لنصل في ختام الدراسة إلى الأهم فيها ولبها، وهو ما يتعلق بقضايا المصطلح المستفادة من نصوص الدراسة وفق بناء متكامل في حدود الطاقة، فكان ما تم التفصيل فيه مما تم التوصل إليه من عناصر كما يلي:

–أنواع الغيوب مقسمة حسب اعتبارات الزمن (الماضي والحاضر والمستقبلّ" ما يكون في غد، ما في الأرحام ،الكسب في المستقبل عاقبة أمر ما وقت مجيء المطر" والموت وما بعده ...) والعلم(المطلق والنسبي) والرتبة (الله ﷻ قمة الغيوب وأصلها والعوالم الغيبية و الغيوب من عالم الشهادة)

–الأمر الذي اقتضى نوعا من التعامل معها وفق عناصر أخرى: **الإيمان بالغيب والخشية بالغيب** من حيث التعريف والوظائف والنتائج كالاهتداء بالقرآن الكريم والانتفاع بالإنذار والذكر والتذكر والرقابة الدائمة لله ﷻ، والتزكية، ثم المغفرة والأجر الكبير عند الله تعالى..

-لنصل إلى عنصر مهم متعلق **بعلم الغيب بين الحقيقة والادعاء**. وتصحيح التصور حوله من حيث مصدره وطرقه وأدب الأنبياء والمرسلين ومن سلك مسلكهم معه، وكشف زيف أدعيائه ...

-ومما له ارتباط بعلم الغيب عنصر متعلق ببعض **قضايا الغيب بين الوحي والعلم التجريبي**. للرد من خلاله على بعض الشبه كمن يظن الدين إغراق في الغيبية، وإهمال للعلوم العقلية والمادية. وتحقيق القول في الظن باختراق حجب مفاتيح الغيب. وبيان أن الغيب والإيمان به دافع للبحث في أسرار الكون. **وكذا** إعجاز الوحي بسبقه إلى ذكر حقائقَ علميةٍ قبل أوانها.

-لنخلص إلى عنصر دفعنا من خلاله في اتجاه تحديد قواعد وضوابط في العلاقة بين الغيب والشهادة وسمته ب" **الغيب والشهادة بين الحدود الفاصلة والعلاقات الواصلة**".لبيان بعض القضايا الغيبية التي أذن الله تعالى بالبحث فيها. ولتصحيح العلاقة بين **الاطلاع على الغيب واستشراف المستقبل. وبيان** حدود البحث في الأمور الغيبية ضوابط البحث فيها.

-لنصل في الختام إلى أصل العلاقة بين عالمي الغيب والشهادة ببيان نسبة عالم الشهادة إلى عالم الغيب **وأن** عالم الشهادة فرع عن عالم الغيب وأنه دليل على عالم الغيب (أو هو أثر له) وأن عالم الشهادة متفاعل مع عالم الغيب وخاضع له وممتد نحوه.

3-بعض نتائج البحث:

-ما أمكن استنتاجه، مما تم التوصل إليه على مستوى قضايا المصطلح:

أ-من أخطر أسباب تخلف الأمة "المسلمة" عن مكان الريادة التي وضعها الله فيه؛ ضعفُ الإيمان بالغيبيات، والركونُ إلى الماديات، فنبذت كتاب الله وراء ظهرها ؛ أسوة باليهود والنصارى، ففسَد حالُها؛ ووكلها الله إلى تلك الماديات التي قصّرت في أسباب نيلها، فارتكست إلى مكان الذلة والمسكنة، وما هو لها بمكان؛ لو تدبرت كتاب ربها، وأسست عليه تصورها. لأن الأصل في صحة وفعالية التصرفات، صحةُ وفعالية التصورات، وخصوصا التصورَ حول الغيبيات. وأساسها وملاكها، التصورُ حول أصلها ؛ أقصد بذلك، الله ﷻ ثم الآخرة ... فعلى أساس ذلك تستقيم كل التصورات الأخرى حول الإنسان والكون... ثم التصرفاتُ بإذن الله تعالى.

فلو صح التصورُ وقوي الإيمانُ بالغيب، لحصلت الخشيةُ بالغيب، والأوبةُ والإنابةُ إلى الله ﷻ، ومن ثم اتباعُ الذكر، وانطلاقُ المسلم في الآفاق مبشرا بالإيمان والعمران، إنقاذا للإنسانية مما هي عليه من ضياع وخسران.

ب-من أعظم أنواع الإعجاز في القرآن الكريم، "الإعجاز الغيبي" سواء ما تعلق منه بالماضي أو الحاضر، أو المستقبل، فهو محجة بيضاء نورها ساطع لا ينقطع إلى يوم القيامة؛ لمحو ظلمات الريب والشك،

ولإحقاق الحق بإظهار صدق الرسالة. ومن ثم فهو من أعظم وسائل الدعوة إلى الله في عصرنا الحاضر لكل الناس وفي الغرب خاصة.

ج-تَبَيَّن زيف إدعاء علم الغيب، بدليل الخبر من القرآن والسنة، وأكد ذلك العلم الحديث، من داخل المختبر، وفي أحدث نظرياته.. ومن ثم فعلى المسلم ألا يشغل نفسه بهذه الدعاوى، وعلى المدعين تركُ دعاواهم الكاذبة، والإقبالُ على الله صادقين، فلعل الله أن يكرمنا وإياهم بالتقوى ونور الفهم، وبمعرفة المأذون به مما غاب بما شُرع، في إطارٍ من ضوابط ذلك وآدابه.

د-بعد تَبينِ المفهوم القرآني للغيب، وأن علمه بيد الله وحده، ينبغي للإنسان أن يقف عند حده، من حيث البحث في الغيبيات، وهو المأذون به من الله ﷻ، حتى لا يفتَتِن ويَفتِن، ويقلب الموازين، فيعقِّد البسيط، ويبسِّط المعقد، وحتى لا تضيع الجهود سدى، فيندم بعدها، ولات حين مندم.

هـ-البحث في المأذون به يكون بعلم وبقصد؛ وذلك بأن يكون البحث باسم الله وبمنهج الله، لتحصل المقاصد بإذن الله، ومن أهمها ما يزيد في الإيمان بالغيب، ويقوي اليقين به، ومنها ما يُسهم في تنزيل مقتضيات هذا الإيمان وهذا اليقين؛ تنزيلا قرآنيا تحقيقا لمَهمة الاستخلاف في الأرض.

و-كل شيء في هذا الكون ينطوي على أسرار وغيوب، هي من آيات الله تعالى في الخلق. والإنسان مدعو لعدم الغفلة عن الآيات، فكل شيء يُسبح بحمد الله، ومن ثم فالبحث عن آيات الله في كل شيء أمر مطلوب، ليزداد إيمانه ويقينه بالله تعالى، وليستفيد منه في خلافته عن الله في الأرض.

ز-بناء على استشراف غد عالم الغيب، يتم استشراف غد عالم الشهادة، وذلك بالتقوى والإيمان، والمسارعةِ إلى الخيرات والعمران . فالعلاقة بين العالمين علاقة عميقة وطيدة ؛ تبادلية في عالم الشهادة، وممتدة في النهاية نحو عالم الغيب

خاتمة :

فهذا ما يسر الله من جهد، سريع في وقت تزاحمت فيه عدة أشغال، والله ﷻ وحده المتصف بالكمال، ونحن العبيد نتصف بالخطأ والنقصان، فنسأله تعالى أن يغفر لنا التقصير والنسيان، آمين. وصلى الله و سلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

مصادر ومراجع :

- البداية في التفسير الموضوعي "دراسة منهجية موضوعية" الدكتور عبد الحي الفرماوي مطبعة الحضارة العربية- ط 2- 1397هـ- 1977م
- -التفسير البياني للقرآن الكريم الدكتورة عائشة بنت الشاطئ دار المعارف القاهرة ج1 ط 6
- -التفسير البياني للقرآن الكريم الدكتورة عائشة بنت الشاطئ دار المعارف القاهرة ج2 ط 3 – 1388هـ-1968م
- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق- الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي- دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن- ط1- 1418هـ- 1997م
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف د مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة ط1 1431هـ-2010م.
- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم الدكتور أحمد السيد الكومي والدكتور محمد أحمد يوسف القاسم ط1- 1402هـ-1982م
- -دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – للدكتور عبد المنعم علي إبراهيم القصاص – مطبعة الحسين الإسلامية – القاهرة – ط 1 – 1411هـ-1990م
- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، احمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة ط1 1406هـ/1986م
- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم دمشق، ط3 1421هـ/2000م.
- -محاضرات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – للدكتور عباس عوض الله عباس– دار الفكر – دمشق – ط 1 – 1428هـ-2007م
- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع و النشر الإسلامية، القاهرة ط2 1411هـ/1991م
- -منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، الدكتور سامر عبد الرحمن رشواني دار الملتقى حلب ط1 -1430هـ-2000م
- مقدمات في التفسير الموضوعي، محمد باقر الصدر، نسخة إلكترونية .
- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن، محمد الغزالي، دار الشروق،ط8 (1426هـ/2005م)
- نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، نسخة إلكترونية .
- -نظرات في المصطلح والمنهج، الدكتور الشاهد البوشيخي. طبع: مطبعة أنفو – برينت. الطبعة الأولى 2004م.
- -الصبر في القرآن الكريم، د يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة ط10 -1422هـ-2001م